بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 17 - ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء

11-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أخوتي الأكارم بتحية الإسلام نبدأ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن معاً في حلقة جديدة من برنامجنا : "واضرب لهم مثلاً" .

رحبوا معي بفضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم سيدي .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ الآية القرآنية التي تضرب مثلاً هذا اليوم هي من سورة النحل ، يقول الله تعالى :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل : 75]

هذا المثل الذي يحتاج توضيحاً بين عبد مملوك وحر ينفق سراً وجهراً .

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء وفي الآخرة توزيع جزاء :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن المال حظ ، الصحة حظ ، القوة حظ ، الذكاء حظ ، العقل حظ ، هذه الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء ، وسوف توزع توزيع جزاء ، الآن هؤلاء العباد عند الله ، إنسان مؤمن مستقيم ، زوج صالح ، أو ابن صالح ، أو أخ صالح ، أو جد صالح ، أو حفيد صالح ، دخله حلال ، إنفاقه حلال، همه بيته ، أولاده ، همه عباداته ، صلواته ، أذكاره ، أعماله الصالحة ، إنسان متفلت ، أعمى ، أبكم ، أصم ، يتبع شهوته ، وغرائزه ، أي من سابع المستحيلات أن يستوي هؤلاء مع هؤلاء .

الحقيقة لي كلمة أرجو أن تكون صحيحة : أن يستوي المحسن مع المسيء ، الكافر مع المؤمن ، المعطي مع المانع ، هذا الاستواء يتناقض مع وجود الله ، المؤمن متفائل ، المؤمن في الأصل متفائل لأن علاقته مع الله ، تماماً كوحوش كاسرة مخيفة ، جائعة ، مربوطة بأزمة ، بيد جهة رحيمة ، حكيمة ، عادلة ، فأنت علاقتك مع من يملك هذه الوحوش ، لأنه لو أرخى حبل أحدها وصل إلينا .

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ﴾

[سورة هود : 55]

تحدّ .

﴿ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود : 55- 56]

فإذا كنت مع الله كان الله معك ، إن أقبلت عليه سعدت ، وتشجعت ، وكنت حكيماً ، أي الحقيقة النتائج الإيجابية من الإيمان لا تعد ولا تحصى ، من سعادة ، إلى حكمة ، إلى توفيق في بيتك ، في عملك ، في أوقات فراغك ، حتى في لهوك البريء ، حتى في الأشياء التي سمح الله لك بها ، بل إني أقول : إن الذي سمح لك أن تفعلها بالحلال تسعد به أضعافاً مضاعفة مما يسعد بها أهل الدنيا .

الدكتور بلال :

لأنها ضمن المنهج .

كل إنسان مفطور وفق منهج الله فإن عصى ربه اختلّ توازنه :

الدكتور راتب :

ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء

ضمن المنهج ، أي إذا شخص عمل شيئاً وفق طاعة الله ، لا يوجد عنده قلق أبداً ، أما إذا كان هناك شيء خلاف المنهج فعنده قلق ، لذلك كتاب صدر بأوروبا : دع القلق ، وابدأ الحياة ، وزع منه خمسة ملايين نسخة .

هناك قلق ، هناك سبب عميق ، أنت مبرمج ، مولف ، مفطور وفق منهج الله ، فإذا عصى الإنسان ربه اختل توازنه ، شعر بكآبة ، أي إنسان لو أنه لم يؤمن بالأديان كلها ، أنت مبرمج ، مولف ، على أن تحب الأمر الإلهي ، وتبتعد عن النهي ، لو لم تتلق أي توجيه ديني إطلاقاً ، تأكل طعاماً طيباً ، وأمك جائعة ، تحس بكآبة .

الدكتور بلال :

لأنه خلاف الفطرة .

الدكتور راتب :

طبعاً ، لأنه الله برمج فطرة الإنسان وفق منهجه ، فكل إنسان خالف المنهج خالف فطرته ، و الكآبة مخيفة جداً .

حدثني دكتور في الجامعة ، اختصاصي بعلم النفس ، قال : نسب الكآبة بالعالم الغربي مئة واثنان وخمسون بالمئة بالضبط ، قلنا له : ما هذه النسبة ؟ قال : مئة معهم كآبة واثنان وخمسون يعانون من كآبتين ، لمجرد أن تعصي الله معك كآبة ، أما الأمن فيتمتع المؤمن به وحده .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ نهاية الآية تقول :

﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾

[سورة النحل : 75]

الله عادل و هو أصل الجمال و الكمال و النوال :

الدكتور راتب :

الحمد لله أنهم لا يستوون .

الله عادل ، أي الإنسان عندما يؤمن بعدل الله عز وجل، الله الذات الكاملة ، أصل الكمال ، والجمال ، والنوال ، والعدل أساسي ، حتى هناك ملمح دقيق:

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

[سورة مريم : 71]

ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء

إن منكم أي ما منكم ، بمعنى أي إنسان كائناً من كان لابد من أن يرد النار ، لكن العلماء قالوا : هناك دخول ، وهناك ورود ، الدخول عقاب وأبدي ، والورود اتعاظ .

لو فرضنا أن بلداً شرق أوسطي أنشأ سجناً حضارياً ، غرف مستقلة ، فيه مجلات ، فيه كذا ، وجاءنا وزير داخلية من دولة متقدمة ، نأخذه لهذا السجن ليرى المستوى الحضاري لهذا السجن ، هل هذا الوزير سجين ؟

الدكتور بلال :

لا .

الدكتور راتب :

هو يزور السجن ، هذا معنى ورود ، لأن أسماء الله الحسنى في الدنيا كلها محققة إلا اسم العدل محقق جزئياً ، فالإنسان إذا ورد النار ليرى عدل الله المطلق كي تطمئن نفسه .

الدكتور بلال :

سيدي المثل الثاني في السورة نفسها ، في سورة النحل ، يقول الله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾

[سورة النحل : 76]

عبء على سيده .

﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة النحل : 76]

على الإنسان أن يكون قوياً لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى :

الدكتور راتب :

هذا الكلام يدفعني أن أقول :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

لأنه أنت علة وجودك في الدنيا العمل الصالح ، والقوة قوة المال ، أو قوة العلم ، أو قوة المنصب ، أنا أقول وبالله المستعان : إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، ما دامت علة وجودك في الدنيا العمل الصالح ، فالقوي أقدر على العمل الصالح من الضعيف ، بجرة قلم يحق حقاً ، بمبلغ من المال يزوج شاباً ، بتوقيع يقر عدلاً ، فإن كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون

قوياً ، لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، أما الضعف فمقبول ، إن لم تستطع أن تكون قوياً النبي قال :

((وفي كلّ خير))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

هذا جبر خاطر .

((وفي كلّ خير))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

فنحن نقول : يجب أن تكون قوياً ، لأن خيارات القوي في العمل الصالح لا تعد ولا تحصى .

الدكتور بلال :

أيضاً سيدي ألا يحمل هذا المثل عندما يخاطب الله تعالى هؤلاء المشركين في مكة بأنواع الشرك ، فيقول :

﴿ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾

[سورة النحل : 76]

أي أن يتوجه الإنسان إلى جهة ضعيفة وأن يترك القوي جلّ جلاله ، ألا يحتمل ذلك ؟

التوجه إلى الله و إظهار الضعف أمامه :

الدكتور راتب :

إذا اعتز إنسان ضعيف بإنسان أضعف منه ، أحمق ، إذا توجه إنسان وهو يعاني ما يعاني إلى إنسان أضعف منه ، أي هو لا يملك شيئاً ، أنت ابحث عمن بيده الأمر .

لو فرضنا لك معاملة مهمة جداً ، والدائرة عشرة طوابق ، وبكل طابق يوجد مئة موظف ، أنت تعتقد يقيناً الإنسان الوحيد بكل البناء ، بكل الوزارة ، الذي يملك أن يقول لك مع الموافقة : المدير العام ، هل تتذلل أمام أحد الموظفين ؟

الدكتور بلال :

أبداً .

الدكتور راتب :

لذلك قيل : من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه .

وأنا أقول : من جلس إلى قوي ، أنت عبد لله ، لا تتضعضع أمام إنسان ، كن عزيزاً .

ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء

لذلك مشى صحابي مشية فيها خيلاء ، فقال النبي له : " إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموطن " أظهر قوتك للآخر ، وأظهر ضعفك أمام الله .

الصحابة الكرام نخبة البشر، في بدر افتقروا فانتصروا ، هم هم وفيهم سيد البشر في حنين لم ينتصروا، أي الملخص : الإنسان يقول : أنا ، يتخلى الله عنه ، يقول : الله ، ينصره الله .

الدكتور بلال :

إذاً سيدي هذه الآية ممكن أن تكون في مجال التوحيد ، وتثبيت عقيدة التوحيد بألا يتوجه الإنسان إلا عند من يملك أن يعطيه حاجته ، وسؤله .

التوحيد نهاية العلم والعبادة نهاية العمل :

الدكتور راتب :

هل تتصور أن آية واحدة فيها فحوى دعوة الأنبياء جميعاً ؟

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء : 25]

العلماء قالوا : لا إله إلا أنا التوحيد ، التوحيد نهاية العلم ، والعبادة نهاية العمل ، فالإنسان إذا وحّد وعمل حقق الهدف من وجوده .

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ في نهاية هذا اللقاء إلا أن نشكر لشيخنا ما تفضل به ، وأن نشكر لكم حسن المتابعة ، أرجو الله تعالى أن ألتقيكم دائماً على خير ، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته